وقد عرضت عليه قريش كل ما يرضى مطامع الطامعين، وترضّته بما ليس وراءه زيادةٌ لمستزيد. فلو أنه كان بشرًا غير مؤيَّد بروح الله، لما استطاع أن يحتمل أذاهم ولا أن يقاوم إغراءهم، ولكان من المحتمل أن يميل إلى ناحيتهم بعض الميل، وأن يترضاهم ولو بعض الترضي. ولكنه رسول الله والله من ورائه يؤيده بقوته، ويُثَبّته بتثبيته، ويعينه على احتمال ما ينالونه به من الأذى، وعلى مقاومة ما يخدعونه به من مُغْرِيات.

لقد كان اضطهادهم - حقًّا - شديد الوطأة، وكان عُرُوضهم - حقًّا - شديدة الإغراء.. ولولا أن الله ثبّت قلب نبيه ﷺ، وأيده بحوله وقوته، لزعزعه الإيذاء الذى تعرض له، ولبهره الإغراء الذى عرض عليه.. وهذه إحدى المِنَن التى مَنَّ الله بها على رسوله إذ يقول له: ﴿وإن كادوا لَيَفْتِنُونَك عن الذى أوحيْنا إليك لِتَفترى علينا غَيره، وإذًا لاتَّخذُوك خليلا * ولولا أنْ ثَبَّتناك لقد كِدْتَ تركنُ إليهم شيئًا قليلاً* إذًا لأذَقْناك ضِعْفَ الحياةِ وضعفَ المماتِ، ثم لا تَجِدُ لك علينا نصيرًا *﴾[1].

(١) سورة الإسراء الآيات ٧٣ - ٧٥.